القصصية التي تتخذ من الاخلاق مرجعاً لها، وبين الكتابة التي يتحقق مرجعها في العلاقات الفنية، والفرق بين الكتابتين ان الاولى تجعل القصة مقالاً أخلاقياً، اما الثانية فتنتج علاقات فنية ذات أثر اخلاقي، اي ان الاولى تفارق في خصائصها الحقل الادبي للكتابة وتنزلق إلى حقل آخر، في حين ان الثانية تقوم في الحقل الذي تدّعي الانتماء اليه. بمعنى آخر إن القصة/الاخلاق تلغي لحظة بناء الواقع فنياً ولحظة الخيال القائمة فيها وتحاصر القارىء بسلسلة من الأوامر الاخلاقية، اما القصة/الفن فإنها تعيد بناء الواقع بشكل جديد وتجعل القارىء يبحث عما هو شاذ فيه، اي تدفعه إلى الدخول إلى دائرة الايحاء التي تنتجها العلاقات الفنية. سبق ان قلنا إن كتابات سميرة عزام كانت مؤطرة باستمرار بالدافع الاخلاقي، لكن ذلك لا يعني ان كل قصصها كانت قائمة في ميدان الكتابة الاخلاقية بالمعنى السلبي للكلمة. لقد استطاعت هذه الكاتبة ان تقدّم لنا مجموعة من القصص الفنية التي تحقق شروط الكتابة الفنية، وتقف بثبات في ميدان القصة القصيرة، ويكفي ان نذكر هنا: «دموع للبيع، عام آخر، الغريمة، فلسطيني، هل كان رمزي، طالعة نازلة...» حتى نتبيّن مساهمة سميرة الجادة والحقيقية في إطار القصة القصيرة الفلسطينية.

إن رصيد سميرة عزام المستمر لاغتراب الانسان ومعاناته وضياعه، اعطاها وعيا حاداً بوضع الانسان، فأصبحت قضيته قضية كتابتها، وبسبب هذا التلازم كانت قصص سميرة تدور دائماً حول موضوع واحد او محدّد، وفي هذا التلازم كان على الكاتبة في رصدها ان تنتج جملة من القصص التي تتسم بوعي حاد وحار للشرط الانساني المضطهد. وفي مسار هذا الرصد، او بعض زواياه، قرأنا قصصاً حقيقية، تصل إلى تفاصيل الحياة اليومية، وتمثّلها في حركتها، بل قد تصل احياناً إلى مستوى التجريد الفني الحقيقي. إن صدق الكاتبة، في تعاملها مع قضية الانسان، سمح لها بإنتاج كتابة فنية صحيحة، ترسم الواقع والانسان وتخلق في رسمها أثراً يعيد القارىء إلى الواقع والانسان. ويمكن هنا ان نستعيد حكم «فرانك او كونور» ونستعمله في محاكمتنا ونقول: إن قصص سميرة عزام تترك انطباعاً عميقاً، ربما لا يكون كلياً، وربما لا يكون حتى انطباعاً دقيقاً، ولكنه انطباع عميق ومستمر(١٧). فلقد استطاعت كاتبتنا في التزامها بقضية الانسان المضطهد ان تخلق عالماً خاصاً، واضحاً ومتميزاً، نقرأ فيه الطفولة الضائعة، والزمن الضائع وحرارة الحياة وبرودة الموت الوشيك، ولم يكن بإمكانها ان تعطي هذا العالم كتابة وتجعله يترك فينا «انطباعه العميق» لولا نجاحها في التقاط ما هو أساسي في الحياة وإعادة كتابته وفقاً لمؤشرات الكتابة القصصية. وتنبغي الإشارة، هنا، إلى ان الكاتبة لم تكن ترصد «بؤس الانسان» وتكتبه فحسب، بل انها كانت ايضاً ترصد تجربة او تجارب القصة القصيرة وتحاول الاستفادة منها، وقد ساعدها في ذلك اهتمامها المستمر بالاعمال الادبية، الذي تجلّى في ترجمة بعض الاعمال الهامة إلى اللغة العربية.

ميّزنا في قصص سميرة عزام بين القصة/الاخلاق والقصة/الفن، وإذا كانت القصة الفنية لها حضورها الاكيد، فإن القصة الاخلاقية لها حضورها الصريح ايضاً. تتسم القصة الاخلاقية باستبدال جملة العلاقات الاجتماعية المادية بجملة علاقات وهمية